مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري المجلد 20/العدد01 (2023)ص20-36

ثنائية الموت والحياة في شعر يحيى السماوي

Death and Life Controversy in the Yahya Al-Samawy's poem

أمير فرهنگ نيا [1]

عباس مؤمني [2]

1- جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران/ a_farhangnia@sbu.ac.ir

2- جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران/ abbas1377momeni@gmail.com

تاريخ الاستلام:2022/11/08 تاريخ القبول: 2023/09/13 تاريخ النشر:2023/12/31

الملخص: يعدّ يحيى السماوي من أبرز الشعراء العراقيين والذي وظف موضوع الموت والحياة في أشعاره توظيفاً ثورياً مقاوماً مشعاً بالأمل والشجاعة وكان له دور نشيط في توعية أبناء شعبه بما قدم من آثار تشير إلى أنّ الحياة إلى نهاية ولابد للإنسان أن يقاوم الاستعمار والظلمة ولا يرضى بالذل والهوان، وأكد على هذه المفاهيم بكلمات ومعانٍ جليلة أهاب فيها بأبناء شعبه أن يدافعوا عن قيم وطنهم وموروثاته، فلاجرم أنّ الموت والشهادة في سبيل حفظ الوطن من أرقى درجات الموت، وهذه الشهادة هي التي تصنع المستقبل وتضمن للأجيال القادمة حياتاً ملؤها العزة والكرامة. يهدف المقال إلى أن يسلط الضوء على أشعار الشاعر العراقي يحيى السماوي ويبين آرائه عن الحياة والموت وفقاً للمنهج البنيوي ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان، أن السماوي يريد الحياة في موطنه شرط عدم وجود المحتل فيه والابتعاد عنه، طالما أنّ وجوده يمثّل له شيئاً من العدم والموت فلذلك ظل يثبت هذا المعنى في أشعاره ويحفّز أبناء شعبه على المقاومة والشهادة لأنّ الحياة مع المحتل موت يتسم بالهوان، لكن الشهادة في سبيل تحرير الوطن، هي بمثالبة الحياة والخلود.

الكلمات الرئيسة: الشعر العراقي، المعاصر، الموت، الحياة، يحيى السماوي

Abstract: Yahya al-Samawy is one of the poets of the resistance who, through his works, informs his nation and people that this life is temporary and they should not be oppressed by the occupiers, and by using terms that denote life and death, he asks his people to reciprocate. Let the enemies fight and defend their heritage and homeland. Perhaps death in the way of the homeland and its preservation, which is a kind of martyrdom in the way of it, is the best kind of death to build a homeland for themselves and their future generations who can benefit from it and its blessings.

This article intends to analyze the poems of the Iraqi poet Yahya al-Samawy in the field of life and death through analytical-descriptive method and identify his views and position on life and death.

Keywords: Literature, Resistance Literature, Death, Life, Death and Life Controversy, Yahya Al-Samawy

المؤلف المرسل: أمير فرهنگ نيا

الاميل:a_farhangnia@sbu.ac.ir

تمهيد:

لكلّ شاعر معجم شعري يختصّ به ويميّزه عن غيره من الشعراء حيث ترد فيه ألفاظ يختارها الشاعر ويوزّعها فى قصائده حيثما يشاء ووفقاً للمواضيع التي تدور أفكاره حولها. منها الموت والحياة وهما عنصران من عناصر البنية الشعرية في القصيدة المعاصرة ويشكلان أهمّ ثنائية ضدّية اقتضتها التجارب الشعرية المعاصرة، فقد أحسّ بالأوطان العربية عامةً، وبالعراق وسورية خاصةً وناهينا عن الحروب العربية والصراعات الداخلية على السلطة التي تضمّنت في داخلها ثنائية الموت والحياة، وقد كان للشعر هذه المواجهة الضدية بين هذين العنصرين (الموسى، 2003: 21). حين يصل الإنسان إلى ذاته متأملاً أغوارها وعالمها، فإنه يتأمل في الوقت ذاته قضية وجودها وفنائها وينشغل بمصيره الحتمي فهو الموت. وقد سجل التراث الإنساني مظاهر الاهتمام بهذه القضية، فظهرت أناشيد الموت وتعاويذه، وبكى العربي القديم وجوده وحياته وتأسى على مصيره الذي يتربص به.

ففي العصر الحديث ازداد انشغال الشعراء بقضية المصير الإنساني، حيث تعددت أدوات البطش وتفاقمت حدتها، وأصبح الشاعر محاطاً بالموت في كل معطيات الحياة، يتنفسه أينما وجد، فأصبح ظاهرة واضحة المعالم تطرحها الوثائق والنصوص تدعو إلى التأمل والدراسة والتحليل. ويتبين أن الموت ينشر ظلاله في كل الآفاق والرؤى حتى في خطاب الحب والحياة وتشابه الشعراء إلى حد كبير في التصورات والرؤى وإن اختلفت التقنيات والأدوات والمواقف. «تجربة الموت هي التجربة الوحيدة التي يتعامل معها المبدع الشاعر وغير الشاعر وهو لم يعشها، أو حتى يعرف ماهيتها، والشاعر في وصفه للموت، أو الحالات التي تصدر عنه إنما يصف مصيره الذي نقف كلنا بإزاء انتظار قدومه، إذ إننا نسعى له بمحض إرادتنا، والشاعر يصور خوفه ومصيره وهواجسه ولا يصور معنى موته وحقيقته وهذا الذي يرصده الشاعر، الشيء الوحيد الذي انفرد به من حيث حقيقة الوعي وعمقه» (عريعر، 2014: 207). يحاول الباحثان من خلال المنهج البنيوي أن يبحث عن الموت والحياة وجدليتهما في قصائد الشاعر يحيى السماوي ويسعى المقال إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

- كيف يتناول السماوي ثنائية الموت والحياة وما هي تجلياتها في شعره؟
- ما موقف السماوي من الموت والحياة في شعره؟

ثنائية الموت والحياة في شعر يحيى السماوي

1. رمزية الموت في الشعر:

تختلف رؤية الشعراء في الحياة والموت فينظر البعض إلى الأولى نظرة سوداوية ويميلون إلى الموت، وبالمقابل يرى الآخر أنها جميلة وتستحق أن يتمتع فيها الإنسان؛ لذلك تكون الآراء في هذا الصدد متعددة، فهذا يعتمد على كيفية نظرة الإنسان إلى الحياة. «الموت هو العنصر السلبي الذي يواجه الحياة ويتحدّاها، ويشكل معها الثنائية الضدية في هذا الموضوع، ولكن لفلسفة الموت وهبته دلالات مختلفة من خلال اتصال الموت بالحياة أو انفصالهما، ومن خلال قانوني الثبات والتحول، ففي قانون التحول الهيرقليطيسي يكون الموت في الحياة، كما تكون الحياة في الموت، والموت عند اللاهوتيين نوعان: موت الجسد وموت الروح، في حين أن الموت عند المتصوفة حياة لخلاص الروح من الجسد وأعبائه واتحادها أو فنائها بالذات الكبرى، وموضوعات الموت في حركة الحداثة الشعرية متعددة، أهمّها الموت الشخصي، وموت الفداء، والموت الحضاري، وليس الموت في هذه الحداثة موضوعاً ليس غير، وإنما هو مستوى من مستويات القصيدة، أو موضوع متداخل بموضوعاتها الأخرى، وعنصر من عناصر البناء الفني، وهو يمثل أخيراً الفناء في مواجهة عناصر البقاء أو الحياة» (الموسى، 2003: 31).

تتولد رؤية الموت عند الشاعر من خلال طاقته الانفعالية «ومن ثم يتكون في حياة الشاعر الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث وهي: الانفعال والشعر والموت. فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر. على أنه يلاحظ أن الانفعال هو الموت، لأن الأول طريق محتم للثاني، ومن ثم تبدأ مرحلة من الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر، حتى تصبح الألفاظ الثلاثة في معنى واحد كأنها مرحلة ينعدم فيها الطريق بالغاية، وحتى ينتهي إليها في وحدة متينة لا انفصام لها (الملائكة، 1974، 305). الموت في نظرة شاعر اليوم نهاية صراع عنيف ومرير: صراع بين أطماع البشر وأحقادهم، صراع بين الإنسان والزمن بمآسيه ومشاكله، صراع يخلقه تعقد الحياة، واستبداد ضراوتها. وتلك النهاية تعبّر عن هزيمة الإنسان أمام كل شيء حتى نفسه، وتلك في الحقيقة مشكلة كل مثقّف (نوفل، 1995: 226). اتسع الشاعر المعاصر بمجال رؤيته واكتسب نوعاً من الشمول فلم تعد أشكال الحياة، أمامه ألواناً مختلفة يستقل بعضها عن بعض وإنما تتمازج فيها الألوان لكي تصنع الصورة العامة، ومن ثم

لم يعد الشاعر المعاصر يرى الجانب الناصع وحده أو الجانب القائم وحده. وإنما هو يرى الجانبين ممتزجين. فإذا هو رأي الجانب الساطع مازجت الجانب قتامة وإذا هو رأى الجانب القائم استشرق فيه السطوع والضوء (إسماعيل، 1981: 353). يعد الموت موضوعاً شائعاً ومتكرراً في الشعر، ويحمل رمزيات متعددة تتفاوت بين الثقافات والفترات الزمنية والشعراء. من الرموز المشتركة التي قد ترتبط بالموت في الشعر:

أ. الانتهاء والنهاية: يعتبر الموت رمزاً للنهاية النهائية والانتهاء من الحياة، ويمكن استخدامه للتعبير عن الانتهاء الكامل لشيء ما.

ب. التجديد والتحول: قد يرمز الموت في الشعر إلى بداية جديدة أو تحول، فيُنظر إلى الموت كمرحلة انتقالية من الحياة إلى حالة أخرى من الوجود.

ج. الحزن والفقدان: يُمكن استخدام الموت للتعبير عن الحزن والفقدان على فقدان شخص عزيز أو تجربة فقدان في الحياة.

د. الخلاص والتحرر: يُعتبر الموت في بعض الأحيان رمزاً للتحرر والخلاص من مشاكل الحياة والألم النفسي.

هـ. الخوف والغموض: يترافق الموت في الشعر أحياناً مع الخوف والغموض ويمكن أن يرمز إلى المجهول وما بعده ويثير تساؤلات حول ما بعد الموت.

و. الزمن والعابرية: يمكن رؤية الموت كرمز لعابرية الزمن وهشاشة الحياة البشرية في وجه الزمن الذي يمضي بسرعة.

ليست هذه الرموز قواعد صارمة وثابتة في الشعر، وقد يختلف التفسير والمعنى من قصيدة لأخرى ومن شاعر لآخر. يتوقف تفسير الموت في الشعر على سياق القصيدة والشاعر والثقافة التي ينتمي إليها. هكذا يستوي مفهوم الحياة والموت لدى الإنسان حينما ينظر إلى الحياة وهو ميت وينظر إلى الموت وهو حي ويتوصل إلى رؤية شاملة إزاء الوجود.

2. ثنائية الموت والحياة:

يعتبر الموت والحياة زوجاً متناقضاً ومترابطاً في الوقت نفسه وتعني ثنائية الموت والحياة أنه لا يمكن فهم الموت بدون فهم الحياة، ولا يمكن فهم الحياة بدون فهم الموت. تشير ثنائية الموت والحياة إلى أنه من خلال الوعي بالموت وقابلية حدوثه في أي لحظة، يمكن للإنسان

أن يحقق تقديراً أكبر للحياة ويستثمر في اللحظة الحالية بشكل أفضل، كما أنها تمثل توازناً معقداً ومتناقضاً بين النهاية والبداية، وتذكيراً بأهمية الاستمتاع بالحياة واستغلال الوقت الذي يملكه الإنسان بشكل جيد. يعتبر الخنوع أمام الموت خير ممثل للاحياة والنهاية الذليلة التي يتحدث عنها الشاعر. الموت عند الفلاسفة والصوفيين انتقال الإنسان إلى حياة روحية خالصة أغزر علماً من الحياة التي كان يحياها الإنسان بجسده وقد تعرج الروح وتخلد إلى الذات الإلهية فتغتبط بمشاهدة الله ومعرفته تاركة وراءها الجسد حليف التراب. فالموت عند الفلاسفة لا يخافونه بل يسعدون به لأنه متمم لمعرفتهم الكبرى وسعادتهم العظمى» (حمود، 1996: 293).

يستخدم الشاعر المعاصر الأسلوب الرمزي الذي يعبّر عن أفكاره النضالية ويمتزجها في روحه وخياله، فتتجلى في قصائد الشاعر المعاصر بنية الصراع التي تكون وجهين: الصراع الداخلي و الصراع الخارجي، فالأول هو الصراع الذي يحدث داخل النفس الإنسانية كالصراع بين عاطفتين أو فكرتين أو الصراع الذي يكون بين العقل والعاطفة، وهذا الصراع له دوره الفاعل في تنمية الحدث، إذ إنه بفضل الصراع السيكولوجي الداخلي الذي يعانيه البطل هو في آن واحد، مركز قطبي الصراع ويتمّ تحقيق الفعل التراجيدي في الأعمال الدرامية (السود، 1998: 81). تأخذ جدلية الموت/ الحياة عند ذات الشاعر وضعها الشعري في التعبير عن خيوط التجربة وعمقها وامتزاجها، بل تقوقعها في بالون الإحساس العالي، والعاطفة الشجية المتقدة من نار القضية المصيرية التي تعيشها الذات (عبيد، 2008: 71).

3. الموت والحياة في شعر السماوي:

كان يحيى السماوي شاعراً متحمساً للحرية ومقاومة الظلم والاستبداد. فكتب قصائد تعبّر عن معاناة الشعب العراقي تحت نظام صدام حسين وعن الحرية والكرامة الإنسانية وكان له دور كبير في إلهام الناس وتحفيزهم على المقاومة والصمود وكثيراً ما تنقل قصائده صوراً قوية ومؤثرة للحياة في ظروف القهر والاضطهاد، وتحمل رسائل قوية عن الوطنية والعزة والمثابرة. يُعتبر السماوي رمزاً للشعر الثوري والمقاوم في العراق وقصائده من الأعمال الأدبية الخالدة والمؤثرة في الحركة الثقافية والأدبية في العراق. كان السماوي أحد الشعراء الذين تناولوا موضوع الموت وهو نشأ في مكان أثّر في مشاعره تجاه الموت وجعله يراه برؤية خاصة.

ينقسم المضمون الشعري عند السماوي إلى أربعة محاور: الأول هو الحياة الذي يكون عند الشاعر جميلاً ويكشف عن الحب لوطنه وهو الأمل الذي يسعى إليه حتى يحقق الحرية والخلود. المحور الثاني هو اللاحياة التي تعني الختام والوصول إلى النهاية المأساوية المنقطعة عن الخلود والوصول إلى المجد والحقيقة الجميلة. المحور الثالث هو الموت الذي يكشف عن معاناة العراقي في داخل الوطن والمحور الرابع هو اللاموت الذي يشتمل على التعلق بالأرض والوطن والنفور من الغرباء. فالموت هو الصائد في كل الحالات، وإن كانت دعوة الشاعر إلى التوحد أمام الصائد تبدو يائسة، لأن الموقف محكوم عليه بحس قدري غيبي لا مناص منه، إذ لا بد أن تغيب أمامه كل الذوات، ولم يقصد منها الشاعر سوى ذلك الشكل الحكمي الذي يتمنى أن يسود الحياة بدلاً من ذلك الصراع وما يقترن به من التمزق، إذ كانت النهاية واضحة في شكل من الأشكال وهو القهر، وسطوة الموت، وفناء الحياة بالضرورة مهما طالت بهم الآجال.

كتب يحيى السماوي الشعر وكان يصور الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها مع أبناء وطنه ووصف الأحداث اليومية التي يشعر بها شعبه كما يقول في قصيدة *إنهم يقتلون النخل*": «هم يقتلون النخل! إنّ النخل متهم برفض الانحناء/ وبالتشبّث بالجذور/ وباخضرار السّعف/ متّهم بإيواء العصافير/ التي لا تحسن استقبال: أعداء الطفولة والطواغيت الكبار» (السماوي، 2008م: 171). يجسد الشاعر في هذه القصيدة صراعاً خارجياً بين الاحتلال وبين النخل الذي يعد رمزاً لوطنه العراق، فيبتدئ الصراع بين هاتين القوتين بقتل النخل من قبل القوى المخاصمة إلا أنّ النخل يأبى التخاذل ويقف في وجه هذه القوى رافضاً الانحناء ومتشبثاً بجذوره وباخضرار السّعف، وأن سبب قتلهم للنخل لأنه يمثل رمزاً للشموخ والعنفوان فهو أيضاً متهم بإيواء العصافير التي لا تحسن استقبال أعداء الطفولة والطواغيت الكبار وبذلك ينتهي الصراع لصالح قوى الشر والضغينة» (الأمين، 2017: 45). يتحدّث الشاعر عن الأعداء الذين لا يريدون أن يشاهدوا حرية الإنسان وإنهم يتنمّرون دون سبب ومنطق. يستخدم الشاعر المفردات التي تدلّ على الحياة واللاحياة يعني النخل والجذور واخضرار السّعف وإيواء العصافير وثمة مفردات تدلّ على الموت واللاموت يعني أعداء الطفولة والطواغيت. يدل النخل على الخصب وسبب استخدامه هو التأمل والبصيرة الجمالية. قد تأتي مفردة النخل رمزاً للوطن والمقاومة، كما يقول الشاعر في قصيدة " *أخرجوا من*

وطني": فاخرجوا/ من قبل أن ينتفض النخل العراقي/ ويستلّ سيوف الانتقام ... (السماوي، 2006م: 91). يخاطب الشاعر الذين احتلوا العراق فيقول: اخرجوا من وطني ويستخدم مفردة النخل العراقي وينذر المحتلين أن يتركوا الأرض قبل أن يلجأ أبناء وطنه إلى العنف والسيف والثأر. فهو ثائر منتفض غير خانع، «كما يعكس شعر السماوي حياته إنساناً مشرداً هارباً من الديكتاتورية، لاجئاً بعيداً عن وطنه المثخن بالجراح، ورمته وطنيته المخلصة على شواطئ الغربة، فلم يكتب إلا بما يتصل بحياته ومحنة وطنه «العراق»، حتى عدّت كل هذه العوامل محنته الذاتية، فكان في منفاه صورة عن وطنه المنفي من خريطة العالم» (الأرناؤوط، 2009: 16). كما يقول في قصيدة "*خليك في منفاك*": لا تنشر الأشرعة/ البحر بلا موج/ ولا ريح/ سوى الآهات ... (السماوي، 2008: 55).

يخاطب الشاعر نفسه وهو يريد أن يرجع إلى وطنه بعد سقوط الطاغية ولكنه يقول: لم تحقّق العدالة والحرية لأبناء وطنه لذلك يرغب في أن يبقى في المنفى. يستخدم الشاعر المفردات التي تدل على الحياة مثل البحر، وريح وموج وأمامها الآهات. فتشير الصيحات إلى الضجيج والعجيج وظلم الحكومة في المجتمع. يستفيد الشاعر مفردة «الأشرعة» لأنها سبب لحركة السفينة وإن لم تهب الريح فلا تستطيع السفينة الحركة ويدل الموج والريح على الوضع الملائم ولكن الشاعر ينفي وجودهما ويفضّل البقاء في المنفى. قد ترمز مفردة «الريح» على الشوق والحنين، فعندما يفتقد الشاعر وطنه وتهب الريح من اتجاه وطنه فتذكره بهذه المعاني فيصرخ على وطنه وحبه له، كما يقول في قصيدة "*هند*":

لا الـــــريح تلـــــثم خـــــدّ أشـــــرعة * حيـــــري ولا الحرمـــــان يرتـــــدّ**

(المصدر نفسه: 105)

يشجّع الشاعر أبناء وطنه على مكافحة الظلم والاضطهاد وأن يتحركوا نحو الحرية ويقول في قصيدة «رسالة»: يا عابر الآفاق/ مرّ على العراق/ وباسم قلبي قبّل «الفالة»

و«المكوار»/ والعبق الطالع من بنادق الثوار/ في «الكوت» في «ميسان»/ في «الكوفة» في «الأنبار»/ وقل لهم:/ لا شيء غير النار/ لا شيء غير النار/ يطهّر البستان من رجس الخنازير/ ومن شوك الخنا والعار/ وقل لهم:/ يا حاملي بشارة السنبل للمنجل/ والميلاد/ للوطن المثكل بالأعياد/ غداً لنا ميعاد/ غداً لنا ميعاد/ مع الصباحات التي تطرّز البلاد/ بالخير والأمان والرشاد (السماوي، 2006: 85). يقول الشاعر مخاطباً أبناء وطنه: قد نستطيع باستخدام النار والقتال أن نخرج العدو من هذا الوطن. يدل تكرار جملة (لا شيء غير النار) على المحاربة فحسب وهذه المشكلة لا يمكن حلها إلا ببنادق الثوار. وعند تكرار عبارة (غداً لنا ميعاد) يؤكد الشاعر على يوم جديد وفيه تعود السعادة والفرح والسرور إلى الوطن وتطرّز البلاد بالخير والأمان وتدلّ عبارة (باسم قلبي قبّل «الفالة» و«المكوار») على الاستشهاد وأن الشاعر لا يخاف من الموت حينما يجري الحديث عن حرية الوطن، فهو مستعدّ أن يموت في طريق الحرية والوطن، أما البستان يرمز للعراق وموطن الشاعر والخنازير بمعنى الأعداء والمحتلين الذين استولوا على البلاد بالظلم وتضييق الخناق. المفردات التي تدل على الحياة، هي: السنبل، والبستان، ويطهّر، والميعاد، والخير، والأمان والرشاد وأسماء المدائن مثل الكوت، وميسان، والكوفة، والأنبار. والمفردات التي تدل على الموت وهي: المرّ، والفالة، والمكوار، والبنادق، والخنازير، والشوك، والخنا والعار.

وردت كلمة الموت ومشتقاته مراراً، في شعر السماوي، وقد دارت حول دلالات مختلفة يدل معظمها على معنى الانقطاع عن الحياة الكريمة التي تحقق وجود الإنسان، وغالباً ما وردت مشتقات لفظ الموت بصيغة الجمع، لتدلّ على جمهور واسع وهو الشعب، أو شريحة اجتماعية مغلوب على أمرها، وفي معظم الأحيان يتراجع المعنى المادي للموت، أو يختفي، ليظهر المعنى الرمزي الذي يهدف الشاعر إلى التعبير عنه. يتجلى في قصائد السماوي الصراع الذي يتطلب الحرية، فيقول الشاعر في قصيدة "*عراقيان*": وتسألني التي في القلب/ أنهرب؟/ لا فنخل مدينتي أبهى/ وأعذب ماؤها/ وترابها كحل العيون وأهلها الخلّان/ فإنّ الحبّ أجمل ما يكون وأنتِ في وطني/ معي تتوسدين بيوته الطينية الجدران/ وإن رفض الولاة هواك (السماوي، 1997: 42). تتجلى عاطفتان في هذه القصيدة وهما عاطفة المحبوبة والشاعر الذي يتمسك بوطنه. فالأولى هي التي تتطلب الهروب من أرض الوطن، لكن عاطفة الشاعر تريد التمسك بالوطن بمعنى أنه يبحث عن الحياة والعيش مع محبوبته، فيستخدم العناصر

ثنائية الموت والحياة في شعر يحيى السماوي

الرمزية الدالة على الحياة كالنخل والماء والتراب والبيوت والطينة والجدران والأهل. هناك معانٍ للهروب والصراع في صدر الشاعر فيخاطب نفسه: ماذا أفعل؟ أختار الحياة أو الموت؟ إن أختار الحياة فماذا يحدث لوطني والحرية؟ وفي حالة اختياري للموت فماذا يحدث لمحبوبتي والعيش؟ ويصوّر أشكال الصراع الداخلي وهو يقول في قصيدة "بعيداً عني .. قريباً منك": كنت لا أقدر أن أنهض/ من ثقل خطيئات ضياع الأمس/ ما بين نديمات/ وكأس راعف الرّاح/ ودنّ/ فأنا كنت ضحاياي/ وجلّادي/ وسجّاني/ وسجني!/ خدعتني نزوات/ أوهمت عيني/ فاستعذبت في طيشي/ شهداً/ ورحيقاً/ بكؤوس من متاهات (السماوي، 2011: 174-176).

يصوّر الشاعر أشكال الصراع الداخلي النفسي بين صراع العاطفة التي يتمسك بالملذات، والتمتع بها وبين العقل الذي يبعده عن الملذات وينجو به من ثقل الخطيئات، أما الصراع الخارجي فيدور «خارج ذات الشخصية، ويتمثل بصراعها مع غيرها من الشخصيات، أو مع القدر، أو مع القوة الخارقة، وقد شهد هذا النوع تطوراً عندما أصبح يحدث بين الإنسان والمجتمع» (تسكام، 2009: 187)، فيأتي هذا الصراع الخارجي بصفته أحد أشكال الرفض للمؤسسات والنظم الاجتماعية القائمة في المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر. يتمثل هذا الصراع بين فرد واحد وهو البطل المناضل وبين قوى سياسية تمثل الاحتلال الذي رمز له الشاعر بهولاكو الجديد في قصيدة "*كامل*": ما مات (كامل)/ (كامل) اختصر الطريق إلى السماء/ من كوة في رأسه الضوئي/ والجسد المخضّب بالدماء/ قد كان يعلم/ أنّ (هولاكو) الجديد/ أتى/ ليحرث حقل دجلة بالقنابل/ ويدك أعشاش الحمام/ وأن يطيل الليل/ في وطن الأرامل ... (السماوي، 2010: 9). يصوّر الشاعر في القصيدة صراعاً خارجياً بين فرد واحد (كامل) أي البطل وبين قوى سياسية تمثّل وهولاكو الجديد ويتحدث عن القتال ضد الاحتلال والظلم الذي يسود الجامعة. فيقول: ما مات (كامل) بمعنى أن كامل خالد وذاكرته لا تزال حية وبهذا الطريق يشجع أبناء وطنه إلى القتال أمام العدو الخارجي حتى يصلوا إلى الحرية. يستخدم الشاعر المفردات الدالة على الموت مثل الدماء والقنابل والأرامل وكذلك المفردات التي تدل على الحياة مثل السماء والضوء ودجلة وأعشاش الحمام والليل والدم الذي بمثابة نهر الحياة، كما يدلّ على الموت أيضاً، فهو رمز مشترك بحسب السياق الذي يرد فيه. الحمام أو الحمامة

مفردة تستفاد للتعبير عما رسخ من مكبوت نفسي مؤلم، وإذا يطير الحمام، يأخذ الألم والحزن والكآبة إلى مكان آخر ولا ينساها بل يتذكرها دائماً ولهذا السبب، العلاقة بين الشاعر والحمام هي حالة عاطفية قائمة على المشاركة الوجدانية التي تربطهما معاً ويكررها في بعض قصائده. يأتي الموت «في هذه القصيدة متصلاً بالحياة ويحمل هذا النوع من الموت دلالة الموت الممهّد للحياة أو الموت الذي تعقبه الحياة، أو تنبثق منه، وهذا يعني أن الحياة نفسها بحاجة إلى موت، ولا حياة من دون الموت، وهو بعبارة وجيزة الموت الأسطوري» (الموسى، 2003: 32).

تمثل شخصية «كامل» هذا الموت الأسطوري، وهي شخصية غير عادية، وموته انتصار الشعب على المحتلين وسلطتهم ولولا إراقة دمه، لم يفكر شعبه في أن يقاتلوا العدو الخارجي ويتسبب هذا الدم في أن يفكر الناس في مستقبلهم. كما يقول الشاعر في قصيدة *"شاهدة قبر من رخام الكلمات"*: كيف أغفو؟/ سواد الليل/ يذكرني بعباءتها ../ وبياض النهار/ يذكرني/ بالكفن!/ يا للحياة من تابوت مفتوح ../ أشعر أحياناً/ أنّ الحيّ/ ميت يتنفس ../ والميت/ حيّ/ لا يتنفس/ الأحياء ينامون فوق الأرض ../ الموتى ينامون تحتها ../ الفرق بينهم:/ مكان السّرير/ ونوع الوسائد/ والأغطية! (السماوي، 2009: 12). عرف الإنسان الموت منذ كان، فالموت لابد منه وبه ينتهي الإنسان ويرجع إلى التراب. لم يستطع الإنسان أن يعرف حقيقة الموت، أو أن يعلم ما قبله وما بعده، فلجأ إلى الأديان ليطمئن روحه الحائرة ورأى أن الموت هو فناء الجسد وعروج الروح إلى الله، وأما الجسد فيبعث بإذن الله مرة أخرى في يوم الحساب. وقيل أن الروح تنتقل بعد الموت من جسد إلى جسد والموت يرصد دوماً الإنسان، وهو قريب منه أينما كان، ولا يعلم أحد متى يحين أجله ويشدّ رسنه» (ملحس، 1964: 153). يشبه الشاعر الكون بالمرآة ويستخدم الألفاظ التي تعبر عن أن المرء كيف يعيش؟ هل يعيش ذليلاً وخائفاً أو محرراً وشجاعاً كما يقول في قصيدة *"نقوش على جذع نخلة"*: الكون مرآة/ كلّ النهايات بدايات/ إذن/ كلّ البدايات نهايات/ وتلك الآيات/ أتستحقّ هذه الحياة أنْ يعيشها الإنسانْ/ مِسْخاً، ذليلاً، خائفاً، مُهانْ؟/ في حفرةٍ ضيّقةٍ يأنفُها الحيوانْ/ مختبئاً كان وكان الموتُ والنيرانْ/ يحتطبانِ الناسَ والبستانْ/ ليسَ شجاعاً ليقُرَّ أنّه جبانْ/ ما قيمةُ التحريرْ/ إن كان الذي هبَّ إلى نجدتنا/ حرَّرَنا/ واعتقلَ الوطنْ؟/ ما شرفُ اليد التي تُبْعِدُ عن أعناقِنا القيْدَ/ وعن عيونِنا الوَثْنْ/ حين يكونُ الوَطَنُ

الثَّمَنْ؟ (السماوي، 2006: 96). إن عبارة «كل النهايات بدايات» كناية عن شخص يولد ومن الأفضل أن يختار طريقاً لحياته ويعرف كيف يعيشها، كما أنها تحكي عن أن هذه الحياة تنتهي يوماً ما، فالإنسان قد يموت بحالة طبيعية أو يُقتَل وهذه الدنيا ستمضي. «الموت هو الوجه الآخر من الحياة، وذلك بالقدر الذي يجعل الوجود نفسه، كالحضور فيه، وتداً مشدوداً بين نقيضين: الحياة والموت، الحضور والغياب. كلاهما طرفا متصل واحد أو عملة واحدة، وإذا كان الوقت يعني حضور في الحياة، في مدى تقلب أوجهها، فإن الذاكرة تعنى الشعور بالزمن والعودة إليه، على امتداد الوقت، على النقيض من النسيان الذي يعني غياب الذاكرة التي تنقطع، وتفقد حتى الشعور بالنسيان، فيطير الوقت، فلا يبقى سوى الموت» (عصفور، 2016: 340). يقول الشاعر في قصيدة *"نقوش على جذع نخلة"*: يا زمن الخوذة والدفن الجماعي/ وقانون وحوش الغاب/ متى/ متى يخترعون طلقةً/ تميِّزُ الطفل من الجنديّ/ أو قذيفة/ تُميزُ الحانة والمبغى من المحراب؟/ وشنطة التلميذ من حقيبة الإرهاب؟/ متى يغادر الأغراب/ بستاننا/ فيستعيد النخل كبرياءه/ ويستعيد طهرَه التراب (السماوي، 2006: 126)؟

أخذ الشاعر «زمن الخوذة والدفن الجماعي» كناية عن أحداث المجتمع المريرة التي يعيش فيها أبناء وطنه و«قانون وحوش الغاب» كناية عن المحتلين و«النخل» كناية عن الأرض المحتلة و«الأغراب» كناية عن المحتلين ويقول: متى يتحرر بلدنا؟ ومتى نشعر بالحرية؟ يتمنّى الشاعر أن يكون هنالك طريق لتمييز الحق عن الباطل والمظلوم عن الظالم. ويأتي بالمصطلحات التي تتمحور حول دلالات الموت، مثل: الخوذة والدفن الجماعي، الطلقة، الجندي، القذيفة والإرهاب وبالمقابل هناك مصطلحات تتركز حول الحياة مثل: الطفل والمحراب والتلميذ والبستان والنخل والتراب. في قصيدة *"لاعلاقة لأعيادي"* يشعر الشاعر بفرحة العيد عندما يعيش أبناء وطنه في راحة وملاءمة ولا يراه منحصراً في تاريخ أو موعد زمني محدد كقوله: لا علاقة لأعيادي برؤية هلال في سماء/ وأوراق تقويم على جدار/ العيد عندي:/ أن يملك كلّ طفل:/ الدّمية .. الأرجوحة .. والحقيبة المدرسية ../ وكلّ عاشق:/ منديل مسرّته .. قيثارته .. وحديقة نجواه ../ أن تكفّ نواعير الدم عن الدوران ../ وتغدو أرغفة الجياع أكبر من الصّحن/ والصحن أكبر من المائدة/ وأن يتطهّر بستان الوطن/ من خنازير الاحتلال! (السماوي، 1/2008: 86). يعتبر الشاعر العيد مرتبطاً بسعادة الناس

وذلك عندما يغادر المحتلون وطنه ويعود السرور والفرح إلى بلده. هناك دلائل على الحياة واستمرارها في هذه القصيدة حيث يكون العيد الحقيقي عندما لا يموت أبناء وطنه بسبب الفقر والجوع ويتمّ توفير البركات والنعم، ثم يأتي الشاعر بكلمات تفيد معنى الحياة كالعيد والطفل والدمية والأرجوحة والحقيبة المدرسية والعاشق ومنديل المسرّة والقيثارة وحديقة النجوى والأرغفة والبستان» وعبارة «تكفّ نواعير الدم عن الدوران» كناية عن أن لا يُقتَل شخصٌ بيد المحتلين ولا يراق دم مظلوم بريء على الأرض و«يتطهّر بستان الوطن من خنازير الاحتلال» كناية عن أن يغادر المحتلون وطنه. وفي قصيدة «من وحي تمثال الحرية في نيويورك» يدعو الشاعر الآخرين إلى المقاومة قائلاً: ينبغي للجيل المستقبل أن يعيشوا بشكل أفضل وعليهم أن يتحدوا ويمنعوا الذين يسودونهم في هذا الوطن: فأجيال الغد لابدّ أن تكون أحسن حالاً/ مادام أن الغد/ لن يشهَدَ ولادةَ وحشٍ جديد/ اسمه:/ "جورج بوش الحفيد" (السماوي، 2009: 79).

لا يقتصر الاغتراب على المشاعر التي تكتنف النفس الانسانية التي تتأثر بالعوامل الذاتية والموضوعية وإنما يمتد إلى نتاج العملية الإبداعية التي تمتثل له، وتحمل علاماته المميزة لكيان النص في شكله ومضمونه، فمن حيث المضمون يعمل الاغتراب على تثبيت حضوره. فيصيب مضمون الفن، أو روح العملية الإبداعية، فيغير قانونها ويخلق لها معايير جديدة لا تتمشى مع المكان أو الوطن الذي نبعت منه، وهو بذلك ليس حالة عابرة حسب، وانما انعطافة تغير ملامح الفن وتستبدل تدريجياً عناصر أصالته التي تمنحه المعنى والوجود، ومن ذلك يأتي التعبير المغترب الذي يتناسب مع مستوى الانفعال الصادر عنه (خالد، 1988: 132). الشعراء الذين يعيشون في المنفى والغربة يتمنون الموت في بعض الأحيان وأحياناً يميلون إلى العودة إلى وطنهم ويعيشون فيه ويتمتعون ببركاته. «في بحثه عن الوطن المفقود، يؤمن الشاعر بالشعر ثم يكفر بالقصيدة والكلمات، ويتأرجح بين اندفاعه إلى القبض بمشاعره على شعاع الحلم الهارب، ثم يرتد محبطاً معترفاً بعجزه شاعراً وعجز اللغة أداة بيان: فيريد ولا يريد، يريد العودة إلى حبيبته التي وصفها بأنها حبيبة من تراب وماء ونار، لكن هنده هذه مشدودة إلى سرير المحتل بحبل من سرفات الدبابات. الوطن كله محتل، وليس فيه فسحة تسع كوخاً يشيده بطين الحرية» (الأرناؤوط، 2009: 132). كما يقول الشاعر في قصيدة " *أريد ولا أريد*": فتّشتُ في قاموس ذاكرتي/ نخلتُ الأبجدية/ غصتُ في كتب البلاغة والبيان/

ثنائية الموت والحياة في شعر يحيى السماوي

بحثتُ في درر الكلام/ فما رجعتُ/ بغير يأسي من طريفي والتليد/ ماذا أسمي هندَ؟/ هندٌ ضحكة عذراءُ ما مرّت على شفة/ وقافية مختضبة بدمع الوجد/ أغنية ترتّلها الحمامة/ وردة كانت بمفردها الحديقةَ/ صولجان العشق في الزمن الجديد/ وأنا الشهيد الحي/ سادنها/ وحارس باب حجرتها العنيد/ وأنا طريد الجنة/ المحكوم بالعطش المؤبّد/ والمكوث وراء سور الوصل/ أحمل صخرة الحرمان/ في الوادي السعيد/ وأنا أريد/ ولا أريد/ جرحاً أموت به/ لأولد في هواها من جديد/ وأنا أريد/ ولا أريد/ كوخاً على سعة الهوى/ لا كنز «قارون»/ ولا أملاك «هارون الرشيد» (السماوي، 2008: 63).

بدا حديث الموت والمصير جزءاً من اليأس والتشاؤم الذين يعانيهما الشاعر، فيبدو عاجزاً عن تجاوزهما فكرياً فإذا هو يتضاءل أمام مجهول لا يعلم من أمره شيئاً، وأمام غيب لا يدرك من حوله ما يطمئنه إليه فيرى نفسه وهو يعيش في عالم مليء بالتناقضات. يطرق الشاعر هنا باب الوصف مسترسلاً ببيان أوصاف محبوبته وهي أجمل من أن توصف بكلمات أو بلغة من اللغات فهي أنشودة ترتلها الحمامة وتحتفي بوجودها الحديقة فهي كالملكة وهو سادنها وحارسها ولكنه بعيد عنها بنفس الوقت، يحترق بنار الفراق والبعد خلف غضبان اليأس واللوعة فيذوب بين الموت والوصال مفضلاً الموت في سبيل اللقاء بها ولو كان في كوخ حقير بعيداً عن الزخرف والثراء. فالشاعر في «فتشتُ في قاموس ذاكرتي/ نخلتُ الأبجدية/ غصتُ في كتب البلاغة والبيان/ بحثتُ في درر الكلام» يحكي عن البحث والأمل المفقود، ولكنه في عبارة «ماذا أسمّي هندَ؟» وما يليها من الجمل، يتحدث عن هند التي ترمز إلى المعشوقة والوطن والعِرض، أما في «أنا طريد الجنة» والجمل التي تليها تحدث الشاعر عن نفسه وشوقه لمحبوبته هند وهي الوطن والعشق والأمان، وفي «أنا أريد ولا أريد» والجمل الأخرى يقول إنه بين نارين: نار المنفى والابتعاد عن الوطن ونار البقاء في الوطن المسلوب وفي «لا كنز قارون ولا أملاك هارون الرشيد» يريد الشاعر الرجوع إلى وطنه فحسب ولا يهمه أن يعيش فقيراً أو غنياً. يقول الشاعر في قصيدة *"النفق"*: قدّمتُ للعشق استقالة ريشةِ الأشواقِ/ فاحتجَّ الورق .../ قدّمتُ للبحر استقالةَ زورقي/ فاستنكر الطوفانُ/ واحتجَّ الغرق... (السماوي، 2006: 45). وفي عبارة «قدّمتُ للعشق...» والجمل التي تليها لا يستطيع تجاهل ما يحدث لوطنه وأبناء شعبه من ظلم وجور وإذا ما سئم الحياة وأراد العزلة ستظل روحه المتوهجة

بالوطنية والانتماء تجبره على الصمود والمقاومة ورفض العدوان إلى آخر حياته. من خلال قراءة قصائد السماوي، يظهر أنه ينظر إلى الحياة والموت بنظرة مرتبطة بمفهوم المقاومة والحرية فيعتبر الحياة مصدرًا للصمود والقوة، حيث يعبر عن الإرادة القوية للشعب والاستمرار في مواجهة القهر والظلم ويحضّ على تحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة في الحياة، أما بالنسبة إلى الموت، فيعتبره جزءاً من رحلة المقاومة والتضحية. يبتغي أن يكون الموت لأجل الحق والعدالة، ويرفض الخضوع للظروف القاسية ويتحدث عن شهداء المقاومة الذين يضحون بحياتهم من أجل تحقيق الحرية وكرامة الشعب. يعتبر السماوي الموت جزءاً لا يتجزأ من المقاومة والنضال، ويعتبر الحياة قيماً عالية الأهمية كالحرية والكرامة والعدالة. فمن خلال شعره، يحاول تحفيز الناس على العيش بكرامة والمقاومة من أجل تحقيق تلك القيم في الحياة. ففي قصائد تعابير عاطفية ورمزية تعبر عن الحياة والموت كأركان متلازمة للتجربة الإنسانية، وتحمل رسائل قوية تدعو إلى الصمود والنضال لتحقيق العدالة والحرية.

4. الخاتمة:

من أبرز النتائج التي توصل إليها هذا المقال:

1. تناول يحيى السماوي تجربة الموت والحياة في شعره انطلاقاً من أن حب الحياة وكره الموت من فطرة الإنسان، وترتّب على هذه التجربة ظهور نوع من الجمع بين الحياة الجميلة المضيئة بجانب صورة الموت القاتمة، فالحياة التي ملؤها النور والحركة والحيوية، والموت الذي ملؤه الرقود والجمود والفناء يتجليان في شعره في إطار ثنائية جميلة جمعت بين محور الحياة المتمثلة في الحب للوطن والأمل في الحرية والخلود والموت المتمثل في المعاناة والنفور والكراهية.
2. تجلت الحياة في تجربة السماوي الشعرية في أن ترتبط بالماضي أو بالمستقبل وتغيب في الحاضر لأن الحياة الحالية ممتلئة بالحزن والكآبة والظلم والاضطهاد التي تسود المجتمع وتتمثل في أشعاره الحركة الواحدة التي تكون صراعاً بين الظلم والعدل، والمعاناة والحرية، والشقاء والسعادة، والوطن والغربة. فعندما تكون الحياة قاسية مليئة بالغربة والهجران فلا شك أن تصور الموت يكون أشد قسوة وضراوة

وتأتي قسوة الموت من حيث إنه يحرم الإنسان من مكان يتوق إليه ولكنه لا يتلذذ بالوصول إليه.

3. حضر الموت في ديوان يحيى السماوي معبّراً عن تجربة شخصية وعامة وفردية وجماعية ووطنية، وظلّ هاجساً لا يفارق فضاءه الشعري، فعليه يشجّع في شعره أبناء وطنه ويسودهم إلى الحرية والقتال أمام المحتلين. تتمثّل الحياة في أبهى صور الجمال، والشاعر كالنحلة يطوف في ربوع الطبيعة باحثاً عن جمالها، مستعيناً بالخيال الذي لا يتوجس من الموت خيفة ليصنع منها قصيدة الحياة ولينتزع الحياة من الموت ويطوف في مسافة زمنية تقارب ثلاثة عقود، وينهل من ينابيع الحياة في الريف والمدينة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1-إسماعيل، عزالدين، (1981م)، الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العودة.

2- الأمين، هدى مصطفى طالب، (2017م)، البنية الدرامية في شعر يحيى السماوي، الطبعة الأولى، دمشق: دار تموز.

3- بدوى، محمد جاهين، (2010م)، العشق والاغتراب في شعر يحيي السماوي (قليلك...لا كثيرهنّ)، الطبعة الأولى، دمشق: دار الينابيع.

4- حمود، محمد العبد، (1996م)، الحداثة في الشعر العربي المعاصر: بيانها ومظاهرها، الطبعة الأولى، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

5- خالد، عبدالكريم هلال، (1988م)، الاغتراب في الفن دراسة في الفكر الجمالي العربي المعاصر، الطبعة الأولى، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.

6- السماوي يحيى، (1997م)، هذه خيمتي فأين الوطن؟، الطبعة الأولى، ملبورن: مطبوعات R.M.G.

7- السماوي يحيى ، (2011م)، بعيداً عني.. قريباً منك، الطبعة الأولى، دمشق: دار الينابيع.

8- السماوي يحيى ،(2010م)، لماذا تأخرت دهراً؟، الطبعة الأولى، دمشق: دار الينابيع.
9- السماوي يحيى ، (2009م)، شاهدة قبر من رخام الكلمات، الطبعة الأولى، دمشق: دار التكوين.
10- السماوي يحيى، (2008م)، البكاء على كتف الوطن، دمشق: دار التكوين.
11- السماوي يحيى ، (2008/1)، مسبحة من خرز الكلمات، الطبعة الأولى، دمشق: دار التكوين.
12-، (2006م)، نقوش على جذع نخلة، الطبعة الأولى، دمشق: دار التكوين.
13- السود، نزار عيون ، (1988م)، دراسات في الأدب والمسرح: مجموعة من النقاد، حمص: دار المعارف.
14- عبيد، محمد صابر (2008م)، سحر النص، من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، قراءات في المدوّنة الإبداعية لإبراهيم نصر الله، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
15- عصفور، جابر، (2016م)، تحولات شعرية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتّاب.
16-عريعر، بشير (2014)، الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر، الطبعة الأولى، العراق: دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر.
17-الملائكة، نازك، (1974م)، قضايا الشعر العربي المعاصر، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين.
18- ملحس، ثريا عبدالفتاح، (1964م)، القيم الروحية في الشعر العربي، بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني.
19- الموسى، خليل، (2003م)، عالم محمد عمران الشعري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في جمهورية العربية السورية.
20- النقاش، رجاء، (2011م)، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهلال.
21- نوفل، يوسف حسن، (1995م)، أصوات النص الشعري، الطبعة الأولى، الجيزة: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان.

الرسائل والأطاريح الجامعية

22- تسكام، نوفل شاكر، (2009م)، أشكال التعبير في شعر مظفر النواب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

المقالات

23- الأرناؤوط، عبداللطيف، المنفى والغربة في شعر يحيى السماوي، نشرية الشعر، شتاء 2009، العدد132